

هل هي غيرة أم رغبة في التملك؟

••• بقلم سما

هل أحب زوجي؟ ألقت على نفسها هذا السؤال وهي تقود سيارتها مسرعة في محاولة مستميتة وفاشلة للحاق بسيارة أمامها تقودها امرأة ذات شعر أحمر ناري مصبوغ. لم تر من تلك المرأة سوى شعرها، الذي جزم من النظرة الأولى له أنه مصبوغ، بل تعرض لعدة معالجات كيماوية لكي يظهر بهذا الشكل اللافت للنظر. ويحكم كونها طبيعية نفسية، تدرك جيدا نوعية النساء اللواتي يلجأن إلى صباغة الشعر بهذا الأسلوب، فصاحبة الشعر هذا، هي امرأة من الطراز الذي يهوى جذب الانتباه، وخاصة انتباه الرجال، وفي نفس الوقت تفتقر إلى الثقافة أو المكافحة الاجتماعية المرموقة، باختصار هي امرأة من "الحضيض" إن أطلقنا على الصفات السابقة أنها صفات النساء اللواتي يعشن في قاع المجتمع. كانت مصرة على اللحاق بسيارة تلك المرأة التي كانت تزيد من مراوغتها، مما يؤكد أنها محترفة قيادية، أو محترفة الهروب من مطارديها.

لم تستمر المطاردة طويلاً، لأنها حسمت بسرعة لصالح المرأة ذات الشعر الأحمر، حيث انحرقت فجأة في أحد الشوارع الجانبية الذي يتفرع إلى شوارع كثيرة على جانبيه، ما جعل اختفائها في أحد هذه الشوارع أمراً سهلاً. أوقفت سيارتها وأطلقت شتمة لم تكن تظن أنها يمكن في يوم من الأيام أن تنطلق من شفتيها، اكتشفت أن هذه "الشتيمة" طالما سمعتها من زوجها يطلقها في كل مناسبة، فهو حاد الطباع متوتر دائماً. هل اختزن عقلها الباطن هذه "العبارة" لتطلقها عندما أصبحت في قمة توترها؟

عادت إلى بيتها وجلست أمام مرآتها وحدثت نفسها مرة أخرى: هل أحبه؟ تذكرت الظروف التي أدت إلى زواجها به، فهو شريك والدها في مصنع الأدوات المنزلية، وتعرف الحاحه الشديد للارتباط بهذا منذ أن كانت طالبة في أول سنوات الجامعة. ردها كان معروفاً، وكثيراً ما رددته أمامها بأنها ترفضه قلباً وقالباً، الاختلاف بينهما واضح، فهي جامعية وهو يكاد أمياً، وهي تربت في بيئة راقية مترفة، وهو نشأ في أحد أحياء المدينة الأكثر شعبية وفقراً. اعجبها فيه أنه قد بنى نفسه بنفسه، حتى أصبح شريكاً لوالدها في هذا المصنع، ودائماً ما يردد والدها عبارات الثناء على أخلاقه وكرمه وتفانيه في العمل. الحاحه للزواج بها ازداد في سنتها الجامعية النهائية، لكن ما أثار دهشتها هو موافقة والدها على هذا الطلب، أصرت أن تعرف السر، فأكد لها والدها أن رفضها الزواج له معناه أن تقضي على مستقبل تجارتها، وحين ألحت أكثر، عرفت أنه يملك نصيب الأسد في المصنع، بعكس ما كانت تعتقده من أن والدها يكاد يكون شريكاً شرفياً. لم تستطع أن تقاوم كثيراً نظرات والدها المتوسلة، لا تريد أن يصبح هذا الكهل بين عشية وضحاها بلا تجارة أو ينتظر الإحسان من شريكه، وافقت على الزواج لشعورها أن هذا أقل واجب نحو والدها الذي رباه، فقد فقدت أمها وهي طفلة. في الأيام الأولى للزواج، اكتشفت بسهولة الفوارق الكبيرة بينهما في كل شيء، حتى في أسلوب مشاهدته للتلفاز وولعه بمشاهدة مباريات كرة القدم، وبرامج الأطفال، ومداعبة أصابع قدميه بجذل أمام الشاشة. مستحيل أن يكون هذا هو زوجها وشريك حياتها، وربما والد أطفالها في المستقبل، أصبحت تضي معظم وقتها في غرفة المكتب، تطالع الكتب والمراجع، بينما هو في الخارج أو أمام التلفاز، لم تحس بحبه الشديد لها ورغبته في إرضائها بشتى الطرق، ولهفته وخوفه عليها من سكين المطبخ إذا خدشت أصبعها، أو شعلة الفرن إذا طالت خصلتها شعرها المتدلية. إعراضها المستمر عنه وعن مشاعره المتدفقة، جعلته يحجم عن إظهار هذه المشاعر، بل أصبحت علاقتهما أقرب إلى الروتين. بدأت تتساءل عن فتور مشاعره نحوها، وهي تعترف صراحة أمام نفسها أنها كانت تستلذ بها وترضي أشياء كاملة في نفسها، ما حدا بها أن تفكر بعقلية النساء النمطيات، ربما هناك امرأة أخرى في حياته ظهرت فجأة، لم تكن تعتبر نفسها امرأة من النوع الذي يغار ويشك، إنها أكبر من هذه الأساليب التافهة!

مكالمة قصيرة وصلته على هاتفه المحمول جعلته يغادر البيت على عجل، لا تدري ما الذي جعلها تلحق به لتكشف سر هذه العجلة؟ لم تكن أمامها الفرصة لكي تسخر من أسلوبها التافه هذا!

لحقت به لتجده يدلغ إلى إحدى العمارات ويرتقي المصعد، فصعدت السلالم ولمحت يدلف إلى إحدى الشقق، قرعت الباب بشدة وعضف، فتح الباب، رآته ورأت ذات الشعر الأحمر، لم تر منها سوى شعرها، لحقت بها على السلالم، استماتت لترى وجهها ولكنها لم تنجح، مثلما لم تنجح في مطاردتها بالسيارة. تذكرت وهي أمام المرأة قضية نفسية طالما قرأتها عن امرأة تضبط زوجها يخونها مع الخادمة، فما كان من الطبيب النفسي إلا أن يطلب منها أن ترتدي ثياباً قدررة وتغسل شعرها بصابون الخادمة وتنام على بلاط المطبخ مثلها، وبالفعل قامت بهذا العمل فعاد لها زوجها أفضل مما كان. هل تصبغ شعرها أحمر ناري؟ هل تحب زوجها؟ أسئلة لا تجد لها إجابة، وتزيد عليها أسئلة أخرى، هل خانها زوجها لأنه ينس من برودها وتعاليلها عليه، أم أنه بحث عن امرأة من طبقته ومستواه الاجتماعي، امرأة لا هم لها سوى صبغ شعرها والبحث عن أفضل الطرق لاصطياد رجل. أنها تدور في سيارتها كالمجنونة في الشوارع، وتراقب العمارة التي ضبظتها فيها سوياً بحثاً عن تلك المرأة ذات الشعر الناري، وتسال نفسها في كل لحظة وهي خلف المقود: هل تحب زوجها؟

همسة سنابل

لم يعد قادراً على اطعامهما فوهبهما لمن يستطيع ذلك

••• كتبت - ديمة جمعة السمان

- استغفر ربك يا رجل ((ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)) صدق الله العظيم.

علاصوته ينهي الجدل :

- لا أريد مواعظ. علاصوتها فوق صوتته.. فلا زال الفزع مرسوماً على وجهها.. وقد أفقدتها الصدمة سطوة زوجها وتسلطه وجبروته عليها.

-إلا هذا يا زوجي .. فطاعة الله فوق طاعة الزوج. ثارت على الرجل رجولته .. فعلاصوته يسترد هيبته:

- تكوني طالقا بالثلاثة .. ولا يردك مذهب ولا دين إذا لم تمتلني لأمرى.

صكت على وجهها .. تستنجد بالله من ظلم زوجها .. فهي أعلم الناس بجبروته .. وبعده عن دينه .. إلا أنها تداركت الأمر .. فهي أيضا الإعلم بإمكانات زوجها. ففردت كفها وقالت:

- حسناً.. هات أجرة الطبيب.

احتار الرجل وهو الذي لا يملك قوت يومه.

- حسناً .. أتدبر غداً أمرى.

- كيف؟

- أستدين من صديق.

- وهل هناك من صديق أفلت من ذاكرتك ولم تستدن منه؟

ضاق صدره حين حاصرته زوجته .. ورمته في قلب واقعه.

فعلاصوته يعطي نفسه ثقة:

-هذا ليس من شأنك .. إن إمكانات الرجال وقدراتهم لا تدركيها أنت.

وخرج غاضباً يطرق الباب خلفه ومضى اليوم .. وتلتته أيام .. ثم شهور .. وكبر بطن المرأة وجاء يوم ميلادها.. وتبرعت إحدى عجائز الحي بتوليدها.

واستمر الوضع على ما هو عليه.. فالرزق شحيح.. والحياة تزداد صعوبة.. إلى أن زاد ذات ليلة بكاء التوأم.

فسال الرجل زوجته أن ترضعهما.

فكشفت عن صدرها فاقدة صبرها:- جف الحليب .. وأصبح الثدي كالحقيرة الخاوية.. لا فائدة منها. أسلمت أمرها إلى الله.. فإذا ضاق صدرك من بكائهما ليلاً فكبدي يتفتت ليل نهار.. ففي طعم هذا البكاء استجداء.. وفاقد الشيء لا يعطيه. ومع صحوة النهار.. حمل الأب والأم التوأم .. وذهباً يطرقان باب أحد البيوت التي حرماها الله الذرية.. وأودعاهما أمانة عند تلك العائلة.. تقوم على تربيتهما.. وتنشأتهما نشأة صالحة.. وملاذ الإشاعة المدينة: (باع سالم أولاده). فقال سالم: لا نقولوا باع أولاده .. بل قولوا اشترى الحياة لأولاده. فرحم الله من قال: لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

كان جمر سيجارته يضيء الغرفة .. كلما سحب نفساً عميقاً من سيجارته رخيصة الثمن .. كريحة الراححة .. بعد أن قطعت شركة الكهرباء النور عن بيته الذي يفتقر إلى أبسط القواعد الصحية اللازمة التي توفر للإنسان حياة كريمة .. فالليل طويل .. والجوع يتسبب لمعدته بانبات موجعة تطفو على لسانه لعنات تنقم على شحة الرزق .. وقلة ما باليد .. وفقدان العدالة في المجتمع .. التي تحرم على السلطة الحاكمة أن يبيت أحدها جائعاً.. أو مريضاً أو محتاجاً.. فإذا كان حاله هكذا .. وهو الرجل المفروض عليه أن يحتمل أعباء الحياة .. التي هي في نظره لعنة لا يفهمها سواه.. والذين هم على شاكلته ممن تدير الدنيا لهم ظهرها .. ويستبد بهم الجوع. وإن صبر هو وزوجته .. فهل يحتمل دموع أطفاله.. وقد أكل الجوع منهما الشحم .. ونهش اللحم .. ونخر العظم؟؟؟ زفر واندفع دخان سيجارته من صدره كثيفاً يتفجر من فوهة بركان ضباباً يزيد من ظلام الغرفة حُلْكة ورهبة. وكز زوجته: فاطمة.. هل أنت نائمة؟

تاؤهت : وهل يزور النوم جائع؟

- صدقت .. والله ما أغفى لي الجوع عينا .. فمئذ وضعت رأسي على الوسادة .. وأنا أتلهي بعد النجوم التي تطل من الشباك .. ضاق الحال يا فاطمة..هزل الأطفال .. ولا زالت الدنيا تدبر لي ظهرها.. الحمد لله أنهما اثنتان فقط. نهضت تجلس على فراشها .. وانفجرت تغطي وجهها بكفها .. وقد علا صوتها .. والدموع تنساب من بين أصابعها.

- لا تفرح كثيراً يا زوجي العزيز.. ذهبت اليوم إلى مركز الرعاية الصحية .. وأخبرني الطبيب أنني حامل بتوأم.

ضرب سالم على رأسه مستغزاً دون وعي :

- فعلتها يا جاهلة؟

-افتر ثغر فاطمة عن ابتسامه أسي .. تزيد من مرارتها دموع تنساب على خديها وتخضب شفثيها.. وقالت بلهجة العتاب.

- حتى في هذا تخطوننا نحن الزوجات يا رجل؟ هل اشتريت لي حبوب منع الحمل أتجرعها وتمنعت؟

قلب الرجل جيوبه ساخطاً:

- وهل كان معي نقودا ورقصت؟

- هزت الزوجة رأسها حسرة.

- وهل كان باستطاعتي كبح جماح شهواتك وقصرت؟

- أرجوك كف عن تانيبي .. فما عادت صحتي وسوء التغذية يحتمل مشاق الحمل؟

- حسناً .. إذا غداً.. وبدون تأخير .. تذهبن إلى الطبيب وتسقطن حملك. شهقت فرحة:

نحن نساعدكم على الخروج من المحنة

ضحاي التعذيب والعنف المنظم مروا بتجارب قاسية
هل نرضى باستمرار معاناتهم؟؟؟
هل نقبل الصمت بمرور آخرين بنفس التجارب؟؟؟

مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب ، ومن خلال طاقم مهني متعدد التخصصات (اطباء اختصاصيين في الأمراض النفسية والعصبية، وطاقم متخصص في مجال الصحة النفسية والمجتمعية). يقدم خدماته النفسية والمجتمعية والطبية المجانية لضحايا التعذيب والعنف المنظم (اسر الشهداء، الأسرى المحررين وأسرههم، الجرحى وأسرههم، من تعرضت منازلهم للقصف، من تواجدوا في أماكن الخطر، و من مروا في أحداث صادمة تسببت لهم بالألم والمعاناة).

لطلب الخدمة والاستفسار :

المقر الرئيسي

رام الله- شارع الإرسال - عمارة الماسة - طابق ٣

هاتف : ٩٧٢ ٢ ٢٩٦١٧١٠٠ +٩٧٢ ٢ ٢٩٦٣٩٣٢

فاكس ٩٧٢ ٢ ٢٩٨٩١٢٣

Email: info@trc-pal.org

www.trc-pal.org

الفروع

الخليل

شارع وادي التفاح القديم- عمارة زمزم- الطابق الثالث.

هاتف : ٢٢٩٨٠٢٠ - ٢٢٩٨٠٢١ فاكس ٢٢٩٨٠٢١ - ٠٢

جنين

شارع الزهور- عمارة ابوعديوي الياموني- مقابل تكسي بريكي- الطابق الثاني.

هاتف : ٢٤٣٠٣٦٣ - ٠٤ فاكس ٢٤٣٠٣٦٢ - ٠٤

نابلس

شارع العدل - عمارة عالول وأبو صالحه الطابق الرابع

هاتف : ٢٣٩٨١٤٣ - ٠٩ . فاكس ٢٣٩٨١٣٣ - ٠٩

لا تدعوا المحنة تفقدكم الأمل
ويدا بيد لنساعد ضحايا التعذيب

المشرف العام

د. محمود سحويل

رئيس التحرير

حسن سليم

سكرتير التحرير

عدنان داغر

هيئة استشارية

د. شريف كناعنه
أ. عصام العاروري
د. رسمية عبد القادر
د. محمد الريماوي
د. إياد السراج
م. خالد بطراوي
د. علام جرار
د. شاهر اشتية

للمراسلات

رام الله - شارع الإرسال - عمارة الماسة - ط ٣

البريد الإلكتروني: Sanabel@trc-pal.org

صندوق بريد : ٤٦٨

او عبر فاكس رقم ٢٩٨٩١٢٣ - ٠٢ هاتف : ٢٩٦١٧١٠٠ - ٢٩٦٣٩٣٢ - ٠٢